من سلسلة مقالات المدينة تاريخ يحكى

التوثيق الشفوي للتاريخ
بين الأكاديميين والسنايين

د. فؤاد بن ضيف الله المغامسي

كاتب ومؤرخ ومهتم
بتاريخ المدينة المنورة

إن التوثيق الشفوي يعد أحد مصادر التاريخ لأي حقبة زمنية فهو باختصار حفظ الذاكرة الحية حول الماضي من الذين شاركوا في الحدث مباشرة أو من عاصروا من شارك بالحدث ونقلوا عنه مباشرة.

والتاريخ الشفوي قديم قدم البشرية فقد كانوا يلجؤون إلى الذاكرة لحفظ أيامهم من غزوات وأخبار كذلك أنسابهم وحياتهم بكل ما فيها، بعدة وسائل كان أشهرها الشعر والحكاية والرواية عن تلك الفترات البعيدة، ثم ظهرت الكتابة والتدوين.

لذلك لابد من أخذ التوثيق الشفوي بعين الاعتبار كمادة مهمة في تاريخ المكان والزمان والإنسان، فالتاريخ الشفوي يسجل الحدث والخبر عن من عاصرها في شتى مناحي الحياة حضارياً اجتماعياً، اقتصادياً، تعليمياً، عمرانياً، فيتطرق المتحدث من خلال موقعه في ذلك الزمن فإن كان معلماً يتحدث عن حياته ومعاصرته لتفاصيل تلك الحياة بشكل عام والتعليم بشكل خاص، وإن كان صاحب حرفة ومهنة أو صنعة يتحدث عن حياته بشكل عام ثم عن طبيعة الحياة في وقته ثم عن الحرف والمهن ومنها حرفته ومهنته.

وإن كان من القيادات أو الشخصيات الاعتبارية فيدون عنه كشاهد على الأحداث التي عاصرها أو كان أحد شهودها, لذلك نجد الجهات المختصة المهتمة بالتوثيق الشفوي صنفت المستهدفين إلى :

1- قيادات وأصحاب القرار وشخصيات اعتبارية.
2- المعمرين الذين تتجاوز أعمارهم بين الستين وما فوق.

وهنا لابد أن نكون أكثر وضوحاً فكثير من التفاصيل الدقيقة للحياة الاجتماعية والتغيرات السريعة التي لا يرويها إلا من عاصر الفترتين وخاض غمار الحياة وشاهد التغيرات التي حدثت، فمنذ تأسيس هذا الوطن وحتى يومنا هذا.

فالمملكة العربية السعودية شهدت منذ انطلاق رؤية 2030 تغييرات سريعة ومتصاعدة في شتى النواحي وبدأ الجيل الحالي ينظر إلى الماضي القريب بكثير من الأسئلة! التي لن يجيبها و يتحدث عنها إلا ممن عاصرها وعاصر التغيرات، فالوطن الآن يشهد نقلة في مجال تقنية المعلومات نقلة رقمية, ونقلة في المجال التعليمي، هذا عدا التطور الحضري والتمدد العمراني، وتنوع المواصلات الداخلية والخارجية، كذلك في المجال الطبي...الخ، مما يلزمنا أن نكون مواكبين المتغيرات من حيث رصد التوثيق الشفوي خطوة بخطوة, ويجعلنا نوثق الماضي من معاصريه بشكل بنائي تراكمي.

وهنا سأتحدث بكل صراحة أنه كثير ممن وثق التاريخ الشفوي قاموا بجهد جبار ومهم، ولكن لاحظنا أن الهواة أو المهتمين في وسائل التواصل الاجتماعي قدموا مادة توثيقية مع كبار السن سواءً عبر " السناب، يوتيوب.. الخ" تتضمن كم هائل من المعلومات التي تتحدث عن حياة الناس كيف كانت؟ وكيف أصبحت؟ بين الماضي القريب والحاضر الزاهر! وما قدموه يعد مصدراً مع تطور وسائل التدوين الشفوي، التي أصبح الناس يبحثون عنها من خلال وسائل التواصل ويستمتعون بهذا التوثيق.

فنجد هؤلاء المبادرين بحب وبجهود شخصية مستثمرين التواصل الاجتماعي يوثقون التاريخ الشفوي مع كبار السن الذي يتحدثون معهم بعد أن يذهبوا لهم إلى أماكنهم "داخل أو في محيط المسجد النبوي أو بالقرب من سوق الطباخة، أو في مناسبة زواج أو في زيارة عائلية... " أمثال الزميل الأستاذ نايف الأحمدي، والأخ حسن بريك وغيرهم كثير في أغلب مناطق الوطن، بمعنى أنه استثمر الإنسان في المكان لنقل الماضي القريب وتوثيقه.

لذلك لابد من تفعيل مبادرة يستثمر فيها جهود المهتمون بوسائل التواصل الاجتماعي لتغطية هذا الجانب، من خلال نواة مقترح وهي:

1- مواكبة التطور المتسارع في نهضة مملكتنا في شتى الجوانب الحضارية بالتوثيق مع الأشخاص المستهدفين من أهل المكان في المكان.
2- حصر كبار السن والمعمرين من نساء ورجال من شتى فئات المجتمع وتوثيقهم حسب الأعمار.
3- أن يكون المستهدف من أهل المكان لم يغادره لفترات طويلة بسبب عمل أو سفر لأي سبب، فمعلوماته تكون أكثر دقة ومترابطة أثناء حديثة عن التغير الذي شاهده وعاصره؛ فكثير من أهل المدينة المنورة عاد إليها بعد التقاعد لا يقارن بمن لم يترك المدينة طيلة حياته.
4- استثمار المهتمين من مشاهير التواصل الاجتماعي في هذا الشأن وتأهيلهم منهجياً في التوثيق للتوثيق.
5- ربط المعلومات بعد فرزها للباحثين وأخرى تقدم للجيل الحالي بشكل مباشر كالسناب واليوتيوب .. الخ، حتى يتم الربط ذهنياً كيف كنا وكيف أصبحنا.

وأود أن أقول: بإني متابع لجهود التوثيق الشفوي وكل ما ذكر في هذه المقترح قد قامت به جهات معنية في مجال التاريخ الشفوي، ولكن أن هنا أتحدث عن المواكبة لسرعة التطور لرصد الماضي والحاضر والمتغيرات.